العلوم

البحوث الروحية

للاستاذ عبد المغنى على حسين

خريج جامعة برمنجهام

هل يصل العلم الحديث إلى استنباط وسيلة للتخاطب مع أرواح الموتى ؟ لا مبرر للقول بأن هذا مستحيل . ويكفى أن نستعرض تاريخ العلوم فى العهد الأخير لنرى كم حققت لنا من ضروب المستحيلات . فأذا امتد أجل المدنية الحاضرة ، وواصل رجال العلم بحوثهم فى هدوء واطمئنان ، فقد يتحقق على أيديهم كل حلم وخيال ، بل ومالا يخطر ببال .

قد يقال إن العلم الحديث لا شان له بالارواح . لأن اختصاصه ينحصر فى المادة ومحيطها . ولما كانت الأرواح غير مادية فهى من العلم كالثريا من سهيل

هى شامية إذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يمانى .

هذا القول يبدو صحيحا فى ظاهره . ولكن الواقع أن عددا كبيرا جدا من البحوث العلمية فى الوقت الحاضر يتعلق بأشياء بعيدة فى ذاتها كل البعد عن المادة . خذ المجال المغنطيسى مثلا . فهو عبارة عن دوائر فى الأثير تحيط بقطعة الحديد الممغنطة . دوائر غير مادية فى وسط غير مادى . خذ أمواج الراديو وموجات الحرارة والضوء وأشعة أكس ، كل هذه أيضا ظواهر غير مادية فى وسط غير مادى .

قد نسلم معى بأن هذه الظواهر فى ذاتها غير مادية ، ولكن نقول أن يد العلم لم تكن لتصل إليها إلا عن طريق تأثيراتها فى الأجسام المادية . فالمجال المغنطيسى غير المحسوس لم يكن العلم ليعترف بوجوده لولا تحريكه لقطع الحديد وأدارته لأبرة البوصلة . وأمواج الأثير لم يكن العلم ليقر وجودها لولا تأثيرها فى آلات الراديو أو فى الألواح الحساسة . فالعلم أذن لن يعترف بوجود الأرواح المجردة عن المادة إلا اذا استطاعت التأثير فى جهاز مادى .

هذا صحيح . ولا بد للأرواح المجردة قبل أن تصبح حقيقة علمية من أن تحدث أحداثا محسوسة ظاهرة . وهذا هو السبيل الذى سلكه « سر ألفرد لدج » ومن قبله « سر وليم كروكس » و « الفرد رسل والس » وحاولوا منه اثبات وجود العالم الروحى إثباتا علمياً ، ثم العمل على الاتصال به بوسائل علمية فى متناول كل إنسان .

فما هو الجهاز الذى ركبه أولئك العلماء وهيأوه لتستخدمه الأرواح ؟ أنه مع الأسف ليس بآلة حديدية أو خشبية أو زجاجية ، وليس مما يصنع ويباع . هذا حلم لم يتحقق بعد ، وأن لم يكن مستحيلا . الأرواح لا يناسبها الى اليوم غير الجهاز المخى العصبى العضلى وهو الجسم البشرى . ولذلك لا تستطيع أن تتصل بنا الا باستخدام جسم بشرى لشخص يسمونه الوسيط .

فما هو الوسيط ؟ وهل يستطيع كل انسان أن يكون وسيطاً ؟ أم هل الوساطة وقف على أفراد معينين ؟ يقولون ان الوساطة صفة مجهولة السبب . وأنها من ضروب العبقرية ، كالقدرة على الغناء الشجى عند المغنى الموهوب ، وكالبراعة فى الشعر عند الشاعر الفحل . وبما أن كل واحد منا لا يستطيع أن يكون مغنياً أو شاعراً ممتازا ، فكذلك لا يستطيع كل منا أن يكون وسيطا . والوساطة كالغناء والشعر متى وجدت بذرتها فى الشخص يمكن تقويتها وتغذيتها وأنماؤها بالتعليم والمران ، كما يمكن أضعافها وأماتتها بالاهمال والكبت والانصراف عنها الى غيرها . وهم يقولون ان الوساطة موجودة فى عدد من الناس أكبر بكثير مما نتوقع ، ولكنها تهمل فى الاغلبية العظمى من الحالات . فتموت من تلقاء نفسها اذا كانت ضعيفة ، وتحسب شذوذا نفسانيا أو خلقيا أو مرضاً عصبيا اذا كانت قوية

الوسيط كعامل التلفون تذهب أليه وتطلب منه أن يصلك بالعالم الآخر فينيلك ماتريد . كيف يقوم الوسيط بهذا العمل الغريب وعلى أى صورة يؤديه ؟ الوسطاء يختلفون فى أداء مهمتهم ، فمنهم من وهب القدرة على الكشف البصرى Clairvoyance فهو يرى الارواح كما يرى الأشباح . ومنهم من لديه خاصة الكشف السمعى Clairaudience فهو يسمع حديث الأرواح وينقلها الى الاحياء . ومنهم من تستولى الروح على يده وتكتب بها ما تريد دون أن يكون لفكر الوسيط دخل فيما يكتب . ومنهم من يغيب عن رشده ويسلم جسمه كله للروح فتستخدمه كما كانت تستخدم جسمها فى حياتها الأرضية .

والوسيط يتناول بطبيعة الحال أجرا لقاء ما يؤدى للناس من خدمة يصرف فيها الوقت والمجهود . لأنه كـكل الناس لابد له من أن يعيش . بل هو جدير بالأجر الحسن والعطاء السخى . ولكن أنى لنا ان نثق بصدقه ونطمئن الى صحة دعواه الخطيرة . ولم لا يكون محتالا ماكرا يعيش بالادعاء على الموتى وتغفل الاحياء .

لاشك ان مجال الاحتيال واسع فى هذا الميدان ، وهناك حتما مدعون للوساطة يكسبون من خدع السطاء عيشا سهلا . ولكن هذا الصنف فى الغالب يعمل فى الخفاء ، وينفرد سرا بالسذج والاغبياء . أما القول بأن وسيطا يزاول عمله فى جمعية علمية سنين متوالية ويجتمع به كل يوم رجال أذكياء اعتادوا البحث العلمى المنطقى المنتظم يكون مدعيا ومحتالا ، فقول بعيد جدا عن المعقول وهو مرفوض بالبديهة .

الواقع ان جمهور العلماء اليوم يعترف بوجود افراد لهم مواهب نفسانية غريبة تمكنهم من ان يدلوا إليك بمعلومات جمة عن نفسك واسرتك ، ومن مات من معارفك ، مما يستحيل ان يكون قد وصل إليهم عنه من طريق طبيعى معتاد ، والخلاف بين العلماء ينحصر فى تعليل هذه الظاهرة ، وهل هى اتصال بكائنات حية غير منظورة مما نسميه الارواح ام لها سبب آخر

هناك تعليل آخر يصح أن تعزى إليه هذه الظاهرة وهو قراءة الافكار أو ما يسمونه بالتلبائى « Telepathy » : فقد ثبت بالتجارب العلمية الصحيحة ان بين الناس من يستطيع استطلاع مافى فكر الآخرين دون ان يحتاج فى ذلك الى اشارة أو لفظ . وقد اجرى العلماء فى ذلك تجارب عديدة ، فأذا طلب من أحد الحاضرين حصر فكره فى شىء معين استطاع هذا الموهوب بعد فترة من السكون ان يعرف ذلك الشىء ، فيمكن القول إذن بأن مايدلى به الوسيط وينسبه الى الارواح يحصل عليه كله من أفكار الحاضرين .

ولكن الوسيط يدلى أحيانا بمعلومات ليست فى ذهن أحد من الحاضرين فى ذلك الوقت ، فكيف نعلل هذا ؟ يمكن تعليله بأن الوسيط يقرؤه من العقل الباطن لأحد الحاضرين . إذ لكل انسان عقل باطن تستقر فيه ذكرياته وكل مامر به مما لا يفكر فيه فى وقته الراهن . فلعل لدى الوسيط القدرة على ولوج هذه الناحية العجيبة من العقول ليستخرج ما شاء منها كلما شاء .

ولكن ماقولنا فيما يدلى به الوسيط أحيانا مما لايمكن أن يكون سر بذهن أحد من الحاضرين يوما ما ؟ إن الوسيط ينسب أصله إلى الأرواح التى تخاطبه ، فهل نسلم معه بهذه الدعوى الخطيرة ، ونتخذ من ذلك دليلا علميا على صحة وجود العالم الروحى والحياة الآخرة ؟ إن بعض العلماء يميل لهذا الفرض . ولكن البعض يميل إلى فرض آخر وهو القول بأن الميت أثناء حياته كان قد فكر فيما ينسبه إليه الوسيط فانتقلت أفكاره إذذاك إلى عقول الأحياء بطريق التلبائى واستقرت فى عقلهم الباطن ، ثم استطاع الوسيط أن يستخرجها من عقلهم الباطن بطريق التلبائى .

أى الفرضين يا ترى هو الصحيح ؟ أظن أن الفرض الثانى هو محاولة بعيدة وتعلق بالقش لأنقاذ الفلسفة المادية من الغرق بعد أن غاصت تحت الماء .

سنواصل هذا البحث الواسع المتشعب فى فرص أخرى ان شاء الله ؟

ايفان بونين

(بقيـــة المنشور على صفحة ٣١)

كتبت فانما استقى فى من ذاكرتى ، وهذا مايجعل بعضهم يظن انى سردت تاريخ حياتى فى هذه الرواية . ومما يشجعنى على العمل ان المرئيات التى صقلت فى ذهنى بمرور الزمن هى التى تدفع بى دائما الى ترديد ذكريات عن الطفولة والشباب والكهولة .

(ويمكن لاى كاتب تعرض لنقد « حياة ارسنيف » ان يطلق عليها اسم « حياة دورانت » أو « حياة ديبون » أو حياة أى شخص آخر ، فهى حياة فقط ، وحياة رجل فى دائرة ضيقة جاء الى العالم يبحث عما كان بين الملايين من لداته ، فهو يعمل ويشقى ويحب ويريق دمه ويجاهد من أجل سعادته فينهض او يرزح تحت حمل الحياة) .

وليس لايفان بونين اتجاه أدبى آخر ؛ بل هو يردد ماسبقه اليه جيته عند ما سئل من أنت ؟ فأجاب : لا أعلم ... وانا سعيد بذلك ، فانا رجل حر وحسب . ... نعم انى لست جيته ، لكننى رجل حر مثله ، ومحب لهنتى ، يرغم الصعوبات المحيطة بها ، اذ انها تتيح لى حرية العمل والانتاج وحرية امتلاك نفسى ، وقد سافر بونين فى أوائل هذا الشهر الى استكهلم حيث تسلم جائزة نوبل ، وسيعود بعد ذلك الى قرية « جراس » التى ينوى الا يتركها حتى ينتهى من كتابة الجزء الثانى من « حياة ارسنيف » ؟